



www.facebook.com/aldo3ah  
www.youtube.com/doaahNews1

الشيخ / طه ممدوح عبد الوهاب

رئيس التحرير  
د/ أحمد رمضان  
مدير الجريدة  
أ/ محمد القطاوى

صوت الدعاة  
WWW.DOAAH.COM

## خطبة بعنوان: الآيات الكونية في القرآن الكريم

بتاريخ 21 محرم 1444هـ – الموافق 19 أغسطس 2022م

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، **وبعد:**

**أولاً: مفهوم الآيات الكونية والحكمة من القسم بها**

الآيات الكونية هي: الآيات المنسوبة إلى الكون الذي هو الخلق الذي كونه الله تعالى فكان، وذلك: السماوات والأرض والجبال والسهول والأنهار والشمس والقمر والنبات والحيوان والجماد، وخلق الإنسان، وآيات الله عز وجل في الآفاق، وما فيها وما بينهما من سائر المخلوقات.

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله تعالى قد أقسم بكثير من الآيات الكونية في مثل قوله تعالى: (فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) [الواقعة: ٧٥- ٧٦]، وقوله تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ \* وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ \* فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ) [الذاريات: ٢٠- ٢٣]، وقوله تعالى: (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ \* النَّجْمُ الثَّاقِبُ \* إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ \* فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ \* خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ) [الطارق: ١- ٦]، وقوله تعالى: (وَالْفَجْرِ \* وَلَيَالٍ عَشْرٍ \* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ \* وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) [الفجر: ١- ٤]، وقوله تعالى: (وَالضُّحَى \* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى \* مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) [الضحى: ١- ٣]، وقوله تعالى: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ \* وَطُورِ سِينِينَ \* وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ \* لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [التين: ١- ٤].

وأسلوب القسم في القرآن الكريم طريقٌ من طرق توكيد الكلام وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم، إذ يُؤتى به لدفع إنكار المنكرين أو إزالة شكّ الشاكين، **ويمكن بيان الحكمة في القسم بالآيات الكونية فيما يأتي:**

١- إنَّ القسمَ بالآياتِ الكونيةِ في القرآنِ الكريمِ له حكمٌ عظيمٌ، ومقاصدٌ كثيرةٌ، وفي طياته مواطنٌ للعظةِ والعبرةِ، ومجالاتٌ رحبةٌ للتأملِ والنظرِ، ولطائفٌ خفيةٌ يكتشفها المؤمنُ بنورِ بصيرتهِ، فيزدادُ بها يقينًا يسمو به إلى مراتبِ العارفينِ برَبِّهم جلَّ جلالُهُ وعزَّ شأنُهُ.

٢- إنَّ القسمَ في القرآنِ الكريمِ لا يكونُ إلا باسمِ معظِمِ في ذاته أو لمنفعةٍ فيه، أو للتنبيهِ على كوامنِ العبرةِ فيه، فقد أقسمَ اللهُ تعالى بالنجمِ والشمسِ والقمرِ، والليلِ والنهارِ، والسماءِ والأرضِ، والخيَلِ، والتينِ والزيتونِ، وطورِ سينِ، والبلدِ الأمينِ، وغير ذلك من مخلوقاته، لكونها إمَّا معظمةً عندَ اللهِ تعالى أو لما فيها من دلائلِ القدرةِ، وآياتِ العظمةِ، أو مواطنِ العبرةِ .

٣- إنَّ قسمَ اللهِ تعالى بهذه الأمورِ ينبئُ عن شرفِها، وأنَّ فيها فوائدَ دينيةً ودنيويةً، مثلَ كونها دلائلَ باهرة على التوحيدِ، أو توجبُ الحثَّ على الشكرِ.

### **ثانيًا: بعض الآيات الكونية في القرآن الكريم**

قال اللهُ تعالى في لفتِ الأنظارِ إلى الآياتِ الكونيةِ الدالةِ على وحدانيتهِ ورحمتهِ: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة/ 164)، وقد سُبِّقتْ هذه - الآيةُ الكريمةُ بقوله تعالى: (وَالْهُكْمِ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (البقرة/ 165)، فهي استدلالٌ بالأدلة الكونية على وحدانية الإله ورحمته، وقد ذكرَ اللهُ تعالى في هذه الآية سبعةً من الأدلة الكونية الدالة على ذلك:

**أولها:** خَلْقُ السماواتِ والأرضِ على هذا النظامِ العجيبِ المتماسِكِ منذُ ملايينِ السنينِ، الذي دلَّ العلمُ على أنَّه ليس ماثلاً في هذه المجموعة الشمسية فحسب، ولكن في مجموعاتٍ كثيرةٍ متشابهةٍ لها قوانينُها، ونواميسُها الكونيةُ، وأبعادُها، ونسبُها، وعناصرُ تكوينِها، مما تحثارُ فيه العقولُ، ولا يسعُها إلا التسليمُ بعظمةِ خالقهِ، ودقةِ صنعتهِ، الدالة على وحدانيتهِ، وعلى سعةِ رحمتهِ.

ثانيها: اختلاف الليل والنهار، يجيء أحدهما بعد الآخر، ويطول هذا فيقصر ذاك، فتختلف بذلك الأيام والفصول في كل قطرٍ من أقطار الأرض وكل ذلك بحسبان، وللناس فيه منافع كثيرة هي آثار رحمة الله وفضله.

ثالثها: الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، فتنقل الأفراد والتجارات، وتصل الأقطار بعضها ببعض، وقد أصبحنا نراها الآن أطواراً شامخة عائمة فيها كل المتاع والمرافق ومنها ما هو قلاعٌ وحصونٌ ومطاراتٌ وناقلاتٌ، من كل ما عظمت به النعمة، وتحققت به الرحمة والحكمة.

رابعها: هذه الأمطار التي تنزل من السماء فتكون حياةً للأرض بعد موتها، وإنها لدورةٌ عجيبةٌ حقاً، إذ تتبخر مياه البحر بطريقةٍ إلهيةٍ بديعةٍ، ثم تسير إلى حيث شاء الله ثم سقط مياهها عذبةً خاليةً من أية ملوحةٍ أو مرارةٍ فتكون أنهاراً أو يسلكها الله في الأرض ينابيع، ثم تعود إلى البحر بعد أن تؤدي وظائفها ومنافعها التي هيأها الله لها، في تلك الدورة المتتابعة الدالة على القدرة والرحمة.

خامسها: إحياء الأرض بهذا الماء فتنبت النبات مختلفاً ألوانه، متعددة منافعها، متنوعة مذاقاته "يسقى بماءٍ واحدٍ وتفضل بعضها على بعضٍ في الأكل".

سادسها: إن الله جعل من هذا الماء كل شيء حي، وبت في الأرض من كل دابة، فالماء حياة الناس والحيوان، به يحيا كل شيء حياته الأولى، وبه تستمر له هذه الحياة ما بقي.

سابعها: تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض، أي تدبيرها وتوجيهها على حسب السنن الإلهية، ووفق الحكمة والرحمة.

\*\*\*\*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلي الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**ثالثاً: المسلم مأمورٌ بالتفكير في آيات الله - سبحانه وتعالى -**

إن التأمل في آيات الله الكونية، والنظر في مخلوقات الله المتنوعة العجيبة، من سماء وأرض، وشمس وقمر، وكواكب ونجوم، وليل ونهار، وجبال وأشجار، وبحار وأنهار، وغير ذلك من مخلوقات الله التي لا تعد ولا تحصى، لمن أعظم دواعي الإيمان، وأنفع أسباب تقويته، فأيات الله - سبحانه وتعالى - في الكون وفي الأنفس أكثر من أن تحصى، والتفكير فيها تنفيذٌ لأمر الله - عز وجل -، وما أكثر ما وجه القرآن المسلم للنظر وإعمال العقل فيما يشاهد مما حوله، ومن ذلك قوله - سبحانه وتعالى -: (إن في

ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (سورة الرعد:3)، وقوله -عز وجل-: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (سورة الرعد:4) وغيرها كثير، وكان يعقبُ بمثل هذه التوجيهات بعد الإشارة إلى بعض آياته في الكون.

فتأمل هذه الآيات وغيرها مما خلق الله في السموات والأرض وتدبرها وإمعان النظر وإجالة الفكر فيها من أعظم ما يعودُ على الإنسان بالنعف في تقوية إيمانه وتثبيتته؛ لأنه يعرف من خلالها وحدانية خالقه ومليكه، وكماله سبحانه وتعالى، فيزدادُ حبه وتعظيمه وإجلاله له، وتزدادُ طاعته وانقياده وخضوعه له، وهذه من أعظم ثمرات هذا النظر، ولهذا فإن الله الكريم سبحانه ندب عباده في كتابه إلى تأمل هذه الآيات والدلالات، وإلى النظر والتفكر في مواضع كثيرة منه، وذلك لكثرة منافعها للعباد وعظم عوائدها عليهم، قال تعالى: { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ \* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ \* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ \* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ } [سورة الغاشية:17-20]، وغيرها من الآيات، وهي كثيرة في القرآن، يدعو فيها عباده إلى النظر في آياته التي هي أعظم دليل على توحده وتفردِه وعلى قدرته ومشيبته وعلمه سبحانه وتعالى، وعلى برِّه ولطفه وكرمه، وهذا أعظم داع للعباد إلى محبة الله وشكره وتعظيمه وطاعته وملازمة ذكره، وبهذا يتبين أن النظر في الكون والتأمل فيه من أعظم أسباب الإيمان وأنفع دواعيه.

وقال ابن سعدي رحمه الله: «ومن أسباب الإيمان ودواعيه، التفكير في الكون في خلق السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات المتنوعة، والنظر في نفس الإنسان وما هو عليه من الصفات فإن ذلك داع قوي للإيمان، لما في هذه الموجودات من عظمة الخلق الدالة على قدرة خالقها وعظمتها، وما فيها من الحسن والانتظام والإحكام الذي يحير الألباب، الدالة على سعة علم الله وشمول حكمته وما فيها من أصناف المنافع والنعم الكثيرة التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، الدالة على سعة رحمة الله وجوده وبرِّه، وذلك كله يدعو إلى تعظيم مبدعها وبارئها وشكره والهج بذكره وإخلاص الدين له؟، وهذا هو روح الإيمان وسرُّه».

**اللهم اجعلنا ممن يتفكرون في آياتك الكونية ، واحفظ مصرَ وسائر بلاد العالمين.**  
كتبه: الشيخ طه ممدوح عبد الوهاب إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

جريدة صوت الدعوة

[www.doaah.com](http://www.doaah.com)

رئيس التحرير / د/ أحمد رمضان

مدير الجريدة / أ/ محمد القطاوى